ISSN:2583-2379

المجلد السادس- العدد الأول مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يناير– يونيو ٢٠٢٦

دور المدارس الإسلامية في تطوير اللغة العربية

Dr. S. Syed Fazlullah Bakhtiary
Assistant Professor,
P.G. & Research Dept. of Arabic,
The New College, Chennai,
Tamilnadu, India.
Email:

الدكتور سيد فضل الله بختياري العمري الندوي
الأستاذ المساعد، قسم البحوث والدراسات العربية العليا،
الكلية الجديدة ، تشنائي،
ولاية تامل نادو، الهند.

Abstract:

This study examines the pivotal role of Islamic schools in the development and dissemination of the Arabic language in the Indian subcontinent. With the advent of Islam in India, Muslims recognized the necessity of learning Arabic as the language of the Qur'an and Islamic sciences. Consequently, numerous Islamic educational institutions were established to promote the Arabic language and literature. Prominent institutions such as Farangi Mahal, Darul Uloom Deoband, Nadwatul Ulama, Jamia Nizamia, Al-Baqiyat As-Salihat, and Madrasa Jamalia significantly contributed to strengthening the Arabic language through comprehensive curricula integrating religious and linguistic studies. These institutions produced distinguished scholars who enriched Arabic literature and facilitated the spread of the Arabic language through teaching, preaching, and journalism. The study concludes that Islamic schools have been fundamental in preserving and advancing the Arabic language in India while reinforcing the Islamic and cultural identity of the Muslim community.

Keywords:

Islamic Schools , Arabic Language , India , Darul Uloom Deoband , Nadwatul Ulama Dars-e-Nizami Arabic Literature

الملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور المحوري الذي قامت به المدارس الإسلامية في تطوير اللغة العربية ونشرها في شبه القارة الهندية. فمنذ دخول الإسلام إلى الهند، أدرك المسلمون أهمية اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، مما دفعهم إلى إنشاء مؤسسات تعليمية متخصصة لتعليمها. وقد أسهمت هذه المدارس، مثل مدرسة فرنكي محل، ودار العلوم ديوبند، وندوة العلماء، والجامعة النظامية، والباقيات الصالحات، والمدرسة الجمالية، وغيرها، في ترسيخ مكانة اللغة العربية من خلال مناهج تعليمية متكاملة تجمع بين العلوم الشرعية واللغوية. كما ساهمت هذه المؤسسات في إعداد علماء وأدباء أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم وأسهموا في نشر العربية من خلال التعليم والخطابة والصحافة. ويخلص البحث إلى أن المدارس الإسلامية كانت ولا تزال ركيزة أساسية في الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها في الهند، مما أسهم في تعزيز الهوية الإسلامية والثقافية للمجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية:

المدارس الإسلامية- اللغة العربية - الهند - دار العلوم ديوبند- ندوة العلماء - الدرس النظامي - الأدب العربي

المقدمة:

انتشر الإسلام في الهند منذ بداية العهد الإسلامي، فاعتنق عدد كبير من أهلها هذا الدين، وأدرك المسلمون الحاجة الملحّة إلى تحصيل العلوم الإسلامية لفهم تعاليمه السمحة. ونظرًا لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد ركّز المسلمون عنايتهم على تعلمها وتعليمها ونشرها في مختلف أنحاء البلاد، مما أدى إلى إنشاء العديد من المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية التي لعبت دورًا بارزًا في تطوير اللغة العربية وآدابها.

المدرسة العالية النظامية (فرنكي محل) ومنهج الدرس النظامي

لقد أنشأ المسلمون مدارس عديدة لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية "فالمدرسة العالية النظامية" أو "مدرسة فرنكى محل" بلكناؤ، اتربراديش من أقدم المعاهد التعليمية بشمال الهند أسسها العالم النابغ الشيخ نظام الدين وهو الذي وضع منهجا خاصا لتعليم العلوم الإسلامية وهذا المنهج يعرف بـ " الدرس النظامي" ومن ميزاته أنه يشتمل على كتب المنطق والفلسفة القديمتين والكلام والفقه وأصول الفقه والحديث وأصوله والقواعد اللغة العربية من الصرف والنحو وغيرها وهو لايزال جاريا إلى الآن مع شيئ من التعديل البسيط في جميع المدارس التقليدية وكانت هذه المدرسة قدوة المدارس العربية التقليدية في الهند إلى مدة مديدة من الزمن.(١)

دار العلوم ديوبند – من مدرسة صغيرة إلى مركز علمي عالمي

"وأسس الشيخ محمد عابد مدرسة "دار العلوم" ديوبند في قرية بسيطة "ديوبند" من لواء سهارنفور في عام ١٢٨٣ هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٦٧م وبعدما تسلم مهام إدارتها الشيخ الجليل المغفور له محمد قاسم النانوتوى رحمه الله الذي وهب نفسه وكرس جهوده لتصبح المدرسة بعدئذ مركزا دينيا ومرجعا روحيا للمسلمين في عموم الهند. وبالفعل فقد تحققت أمنية هذا الشيخ الجليل بفضل جماعة من العلماء الأفذاذ من هيئة التدريس، الذين كانوا يمتازون من غيرهم آنذاك، بما عرف عنهم من عمق في التفكير وسعة في الاطلاع ونبوغ في البحث والدراسة، وقد كان من بين هؤلاء الأفاضل الشيخ محمد يعقوب النانوتوى وشيخ الهند المغفورله محمود الحسن الديوبندى والمفتى عزيز الرحمن وفضيلة الشيخ المغفور له حسين أحمد المدنى وغيرهم من جهابذة العلماء، الذين أوتوا نصيبا وافرا من العلوم الإسلامية الظاهرية منها والباطنة وقد عم صيت هذه المدرسة في جميع أنحاء البلاد، بل وتخطى حدود الهند في مدة قصيرة، حتى أخذت جماعات من الطلبة تندفق إلى هذا المنهل العذب لتشرب من ينابيعها ريا. وفي مدة عقدين من الزمن تقريبا تحولت المدرسة إلى دار العلوم على نطاق واسع واستمر إشعاعها الروحي والديني والعلمي يملأ أرجاء الهند إلى زمننا هذا." (٢)

وكما يعرّفها الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسنى الندوي "إن أكبر معهد دينى في الهند يستحق أن يُسمّى أزهر الهند، هو معهد ديوبند الكبير، بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام، ثم لم تزل تتوسع وتتضخم بفضل جهود أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا". (٣)

مظاهر العلوم بسهارنفور– امتداد للمنهج الديوبندي

لقد أنشأ متخرّجوا دار العلوم بديوبند مدرسة "مظاهر العلوم" بسهارنفور على منوال المنهج الدراسى الرائج في دار العلوم بديوبند وقد تخرّج منها عدد كبير من العلماء الذين ساهموا إسهامات عظيمة في نشر العلوم الإسلامية وترويج اللغة العربية وآدابها.

الجامعة النظامية بحيدرآباد – صرح علمي في جنوب الهند

أنشأ الشيخ محمد أنوار الله "الجامعة النظامية" في حيدرآباد، الدكن بجنوب الهند. أنشئت هذه الجامعة كمدرسة بسيطة في مسجد الجمعة بمدينة حيدرآباد (الدكن) في عام ١٢٩٢ هـ وابتدرت الفكرة لإنشائها أولا إلى ذهن المغفور له الشيخ محمد أنوار الله، الذي كانت مكانته بين أقرانه من العلماء، في هذا الجزء من الهند، رفيعة إلى حد، اختاره والى حيدرآباد الأسبق المغفورله النواب مير محبوب على خان، وبعده واليها السابق آصفجاه السابع أستاذا لهما لنبوغه في العلوم وعلو كعبه في الفنون. فعرض فكرته هذه على ثلة من العلماء الذين لم يرحبوا بها ترحيبا حارا فقط، بل مدّوا إليه يد المساعدة والتعاون أيضا. فبرزت هذه المدرسة إلى حيز الوجود، أخذت تتقدم وتزدهر مع مضى الأيام، حتى أصبحت جامعة عربية كبرى في هذه المنطقة من الهند، يشار إليها بالبنان.

ويقوم منهج التعليم فيها على أصول "الدرس النظامى" المعروف في الهند، موزعا على ست عشرة سنة، عشر سنوات منها لدراسة العلوم الإسلامية والعربية مع التخصص في الأدب، أو الفقه أو الحديث أو الأصول أو التاريخ. أما السنوات الست الباقية منها، فانها خاصة بمنهاج التعليم الإبتدائى. (٤)

مدرسة الباقيات الصالحات – نشر العلوم الإسلامية في جنوب الهند

ومن أقدم المعاهد الدينية العربية في جنوب الهند مدرسة الباقيات الصالحات وأقامها الشيخ عبد الوهاب من تلامذة الشيخ عبد اللطيف أحد العلماء الكبار بالجنوب في عام ١٣٠١هـ الموافق لعام ١٨٨٣م. ولا تزال المدرسة تقوم بأداء مسؤلياتها التعليمية إلى يومنا هذا، بنفس الحماس والنشاط، الذي ظل دأبها منذ إنشائها. (٥)

قد لعب المتخرّجون من هذه المدرسة دورا هاما خاصّة في نشر العلوم الإسلامية من المنبر والمحراب وإقامة المشاعر الدينية في المجتمع.

المدرسة الجمالية في مدراس (تشيناي) – تعليم العربية كلغة حية

"ومن أقدم المدارس الإسلامية التي أسست في هذه البقعة من جنوب الهند هي المدرسة الجمالية أسسها جمال محي الدين في بيرامبور، مدراس (تشنأنى) سنة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م. وكان جمال محي الدين تاجر الجلود ومن أثرياء مدينة مدراس. وكانت المدرسة تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية أولا. وقد ركز القائمون بإدارة المدرسة وأساتذتها عناياتهم الخاصة على تعليم اللغة العربية حيث تدرس العلوم الإسلامية باللغة العربية فقط. وكانت المدرسة الجمالية تمتاز بهذه الميزة آنذاك. و قد أدى المدرسة خدمات جليلة في تعليم وترويج اللغة العربية. والجدير بالذكر أن العلامة السيد سليمان الندوي قد ألقى فيها سلسلة من المحاضرات حول السيرة النبوية وكذلك ألقى فيها الدكتور محمد إقبال سلسلة من المحاضرات حول المسلمين وشئونهم ولاتزال المدرسة تقوم بأداء مسؤليتها بكل نشاط". (٦)

ندوة العلماء – إصلاح مناهج تعليم اللغة العربية

فلما أحس العلماء النبغاء ضرورة التعديدلات والإصلاحات في المنهج الدراسي الرائج أنشاؤوا جمعية باسم "ندوة العلماء" ثم أسسوا معهدا خاصا "دار العلوم" التابعة لندوة العلماء سنة ١٣١٢هـ بمدينة لكناؤ عاصمة اتربراديش، لإدخال التعديلات والإصلاحات في المنهج الدراسي القديم الذي كان رائجا في جميع المدارس الإسلامية وسماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى رحمه الله يلقى الضوء على ندوة العلماء ومنهجها التعليمى قائلا:

"تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير و الإصلاح في نظام التعليم الدينى وفي منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيّرت وأصلحت في منهاج التعليم، حذف المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقرّرت دراسة متنه الشريف حرفا حرفا، لغة، ونحوا، وأدبا، واجتماعا، وفقها وكلاما، هذا ماعدا التفاسير المقرّرة في الصفوف العالية وألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية."

"زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية، ووجّهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يُكتب بها ويُخطب لا كلغة أثرية عتيقة ميتة، وألّفت لذلك كتبا تساعد على ذلك، وقد أقرّ الناس بفضل الندوة في

هذه الناحية، قرّرت تدريس اللغة وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والسياسية وعلم الاقتصاد، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر، ويتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين، وأنست ما كان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث من المشاجرات ودواعى العصبية ونجحت في ذلك نجاحا تاما فلا تُشمّ في دارها رائحة الخلاف والحقد المذهبى وترى الطلبة من كل مذهب إخوانا متقابلين في قاعة درسهم ودار إقامتهم جنبا لجنب".(٧)

"إن ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها قد لعبت دوراها ما في ترويج ونشر اللغة العربية وآدابها في الهند من خلال الكتابة والخطابة والصحافة والإنشاء وشغفت بهذه اللغة أكثر من اللغات الأخرى وحتى أكثر من اللغة الأم وحدبت عليها وعاشت لها وبها وفيها وتنفست في جوها وقاتلت دونها وحافظت على عرضها وشرفها في هذه البلاد الواسعة التي زخرت باللغات والآداب والثقافات، فأصبحت لواحة عربية خضراء في صحراء قاحلة جرداء وحملت رأيتها وتبنت قضيتها منذ عهد بعيد، حيث لم تكن لهذه اللغة الكريمة الكثير من أنصار وأعوان ، ولم يكن لها هذا النفوذ والسلطان الذي يوجد الآن." (٨)

نال هذا المنهج الدراسى الجديد الذي اتّخذته ندوة العلماء إعجابا كبيرا وقبولا واسعا بين أوساط العلم فأسسوا معاهد عديدة في أنحاء الهند الأخرى يرجع إليها فضل كبير في تطوير اللغة العربية ونشر آدابها بين أبناء الهند.

معاهد تعليمية أخرى ودورها في خدمة اللغة العربية

في سنة ١٩٠٩ الموافق لسنة ١٣٢٧ هـ أسس أحد علماء الهند المشهورين في فن تفسير القرآن الكريم هو المغفور له فضيلة الشيخ حميد الدين الفراهى مدرسة في سرائمير إحدى القرى من لواء أعظم جره، على منهج دار العلوم لندوة العلماء بشئ من تعديل بسيط، وقد ركّزت هذه المدرسة اهتمامها على تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف. لأن مؤسسيها كانوا يرون أن القرآن الكريم هو المحور الذي يجب أن تدور حوله حياة المسلمين. ولا يتأتى هذا إلا إذا تبصّر فيه المسلم ودرسه بإمعان وتدبّر باعتبار أنه النهج الصحيح للحياة الإسلامية، والصراط المستقيم للعيش في هذه الدنيا. (٩)

"وجامعة دار السلام بعمرآباد جامعة دينية معروفة في جميع أنحاء العالم بخصائصها الخاصة التي قلما توجد مثلها في غيرها من المدارس الدينية في الهند. أسسها كاكا محمد عمر، أحد التجار المعروفين بمدراس في شهر

جمادى الأولى عام ١٣٤٣ هـ الموافق لشهر ديسمبر عام ١٩٢٤. ولا تزال هذه الجامعة تمارس نشاطها التعليمى والتثقيفي إلى الآن، بيد أنها أضافت إلى منهجها الدراسى اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية أيضا. وميزة هذه الجامعة أنها كانت تُدرّس العلوم الدينية دون التحيّز إلى مدرسة فكر معيّنة أو الميل إلى طائفة خاصة أو عقيدة، بل كانت تحثّ الطلبة على اختيار مسلك دينى لهم بعد التدبّر والتروّى والتفكّر على ضوء ما درسوه من القرآن الكريم والحديث الشريف وأصول الدين وأركانه. ولذلك نجد بين متخرجيها من سعة الأفق ورحابة الصدر، قلّما نلمسه بين المنتمين إلى المعاهد الدينية الأخرى، وتلك ميزة لا يجاريها فيها أى معهد آخر".(١٠)

ومن أحدث المعاهد التعليمية التي قامت على طراز دار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ ومتأثّرة بفكرتها التعليمية متمسّكة بمنهاجها الدراسى مع بعض التعديلات البسيطة، الجامعة الرحمانية التي أُقيمت في عام ١٩٢٧م الموافق ١٣٤٦هـ بمدينة مونجير من أعمال بهار، وأرسى حجر الأساس لهذا المعهد الشيخ الجليل المغفور له محمد على المونجيرى الذي شارك قبل إقامة هذه الجامعة، بكل مالديه من جهد وسعى في إقامة ندوة العلماء وإنشاء دارعلومها بمدينة لكناؤ من قبل. (١١)

"وفي عام ١٣٨٣ هـ أسست جمعية أهل الحديث في الهند مدرسة باسم " الجامعة السلفية" في بنارس مدينة الهند القديمة التي تُعتبر مركزا كبيرا للمعابد الوثنية، وهي عند الهندوس أقدس مكان يتبرّكون به، فكانت الحاجة ماسة إلى تأسيس مركز دينى كبير في مثل هذه المدينة، وقد تحقّقت هذه الحاجة يوم افتتحت الجامعة السلفية، وبدأت نشاطاتها ودخلت في مرحلة العمل والتطبيق، وذلك في شهر ذى القعدة عام ١٣٨٥هـ. وقد نالت الجامعة السلفية ترحيبا من جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها". (١٢)

الخاتمة:

إن المدارس الدينية التي مرّ ذكرها أولا ركّزت عناية خاصة إلى تعليم اللغة العربية وآدابها لكى يسهل بها فهم القرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الإسلامية فلعبت هذه المدارس والمعاهد الدينية دورا عظيما في نشر وترويج اللغة العربية وآدابها وتطويرها بين أبناء الهند من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. وكذلك إن الجامعات العصرية أدّت دورا كبيرا في تدريس اللغة العربية وآدابها وتطويرها بين الهنود في طول البلاد ونتيجة هذا قد ظهر من بين أبناء الهند الأشخاص الأفذاذ الذين قدموا خدمات عظيمة وإسهاماتهم في تدريس اللغة العربية وآدابها وفي تأليف الكتب في اللغة العربية حول مختلف المواضيع والعناوين وعدة الفنون من النثر والشعر.

المصادروالمراجع:

١ عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ملتزم الطبع، مطبعة نورى المحدودة، مدراس ١٢ – الهند، ص/ ١٤.

٢ عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ملتزم الطبع، مطبعة نورى المحدودة، مدراس ١٢ – الهند، ص/٢.

٣ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى، المسلمون في الهند، المجمع العلمي الإسلامى، لكناؤ، الهند، ١٩٩٨م، ص/١٠٤.

٤ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى، المسلمون في الهند، المجمع العلمي الإسلامى، لكناؤ، الهند، ١٩٩٨م، ص/٢٥

٥ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى، المسلمون في الهند، المجمع العلمي الإسلامى، لكناؤ، الهند، ١٩٩٨م، ص/٢٢.

٦ محمد يوسف كوكن، العربية والفارسية في كارناتك ١٧١٠- ١٩٦٠، بيت حافظة، مدراس ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤م ص/٥٥٦.

٧ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى، ندوة العلماء: تاريخها ونشأتها، ..... ص/٦-٧.

٨ البعث الإسلامي، الأعداد ٥،٦،٧ عام ١٣٩٦هـ ص/٢٩٣.

٩ عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ملتزم الطبع، مطبعة نورى المحدودة، مدراس ١٢ – الهند، ص/٥٣.

١٠ عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ملتزم الطبع، مطبعة نورى المحدودة، مدراس ١٢ – الهند، ص/٢٢.

١١ عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ملتزم الطبع، مطبعة نورى المحدودة، مدراس ١٢ – الهند، ص/٥٧.

١٢ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى، المسلمون في الهند، المجمع العلمي الإسلامي، لكناؤ، الهند، ١٩٩٨م، ص/١٠٧.

****